معارف
ISSN 1112-7007
EISSN 6804 -2600
المجلد 18/ العدد 1 (جوان 2023): ص.ص: 815-832

البناء السوسيوثقافي للأسرة الجزائرية والتحولات الاتصالية الراهنة

The socio-cultural construction of the Algerian family and the new transformation

بومدين مخلوف *

جامعة محمد بوضياف، المسيلة، مخبر الدراسات الأنثروبولوجية والمشكلات الاجتماعية، الجزائر، boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2022/10/20؛ تاريخ القبول: 2023/05/26؛ تاريخ النشر: 2023/06/05

ملخص:

مجال التمعن ضمن الحقل الثقافي كمرجع للبناء المجتمعي المعاصر قد يلاحظ بين الثابت والمتغيّر، ودرجة هذا التغيّر قد تتحكم فيها الخصوصيات المجتمعية ومكانة القيم والمعايير وقوة المؤثرات الجانبية، وتبقى إمكانية التثاقف واستقبال قيم ومعايير ثقافية خارجة عن منظومة المجتمع تشكل أزمة على مستوى النسق الفرعي والكلي.

المدلول السوسيوثقافي للأسرة كقيمة يتشكل محوريا في تحديد المكانات والأدوار كمهام استدلالية، فالأسرة عبارة عن وحدة بنائية وظيفية تتكون من شخصين أو أكثر يكسبون مكانات وأدوار اجتماعية، وعليه فالحقل الأسري نموذج مركزي في تشكيل البنية المجتمعية، قد يتشكل قيمياً بمستوى استشرافي.

كلمات مفتاحية: القيم الثقافية؛ البناء الأسري؛ التحولات الراهنة؛ الاتصال الجديد.

Abstract:

The field of contemplation within the cultural field as a reference for contemporary societal construction may be observed between the constant and the changing, and the degree of this change may be controlled by societal peculiarities, the status of values and standards and the strength of side effects. The sociocultural significance of the family as a value is pivotally formed in determining the positions and

* المؤلف المرسل.

roles as inferential tasks) valued at a prospective level.

Keywords: Cultural values; family construction; current transformations; new communication.

المقدمة:

يشكل الرصيد السوسيوثقافي بمحدداته ومكوناته مرجعية أساسية لتأصيل النسق القيمي وبناء التصورات المستقبلية للأفراد والمجتمعات، "فالنظرة إلى المستقبل وإلى العالم وإلى الكون وإلى الإنسان تحددها الثقافة"،[1] باعتبارها وحسب غي روشيه كيان مركّب من أنماط التفكير والشعور والعمل، والأساليب المنظّمة التي يعتنقها ويعمل بموجبها عدد من الأفراد، والتي تحوّلهم موضوعياً ورمزياً إلى جماعة موحّدة ذات خصائص مشتركة.[2]

ويمثل التنظيم والبناء الاجتماعي عنصر محوري للثقافة، الذي يتضمن أساليب السلوك والحفاظ على العلاقات المنظمة بين الأفراد والجماعات داخل السياق الاجتماعي، والدين الذي يشمل تفسيرات الإنسان للظواهر الكونية المحيطة به "الطبيعية والبشرية"، وكل سلوك متكرر يكتسب ويمارس ويتوارث اجتماعيا،[3] كما تعتبر مؤسسات التنشئة الاجتماعية (SOCIALISATION) محور ارتقاء وأداء وتنفيذ، وتنمية للرصيد الثقافي للفرد والمجتمع.

وتشكل القيمة الحضرية نسق أساسي محوري في عملية البناء المجتمعي وإعادة تشكيله، وقد تؤدي الزيادة في التحضر (L'URBANISATION CROISSANTE) إلى تغيرات اجتماعية تمس وظائف الأسرة والمدرسة والمسجد، "كالوظيفة التربوية (POSITION DE L'ÉDUCATION) وجعلها محور عمل مؤسسات رسمية متخصّصة وبالتالي كان البناء الاجتماعي (LA CONSTRUCTION SOCIALE) للأسرة أن يُعدّل للتكيف مع مثل هذه التغيرات".[4]

وعليه فتراجع مفهوم التحضر كقيمة داخل البناء المجتمعي، يؤدي عادة إلى ضعف في العلاقات بين الأفراد وأنساق التنشئة، ويرى بعض علماء الاجتماع أن التفكك الحاصل في المجتمعات الحضرية

(1) عابد الجابري محمد: إشكاليات الفكر العربي المعاصر، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2005م، ص.78.

(2) Guy Rocher, Introduction à la sociologie générale. I:L'action sociale, Paris: Editions Points, 1995, P. 111

(3) سليم الغزوي فهمي: المدخل إلى علم الاجتماع، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2004م، ص.183.

(4) عبد المنعم نور محمد: الحضارة والتحضّر، مصر، مكتبة القاهرة الحديثة، 1980م، ص.182.

يؤدي إلى ضعف الضبط الاجتماعي، فتقل بذلك سلطة المجتمع على أفراده.[1]

والملاحظ ضمن الحقل الاجتماعي الحضري مفارقة بين جيل الآباء وجيل الأبناء وفي العديد من المواضع، وهذه المفارقة قد تخلق وبقوة تغييرات علائقية منها تراجع السلطة الوالدية وتفكك الأسرة، كما أن ثورة الاتصالات والمعلومات والتغير المتسارع، جعلت المعرفة هي المحور الذي تدور حوله حروب المستقبل وثوراته الاجتماعية،[2]

مما قد يؤدي إلى تراجع دور المؤسسات الاجتماعية، خاصة منها الأسرة والمدرسة والجامعة في تنشئة الأبناء وتوعية الشباب، كما أن الغزو الفكري لتكنولوجيات الإعلام والاتصال الحديثة قد يمثل إشكال ابستيمولوجي على جيل المستقبل، خاصة في جانب العقيدة والشريعة وفي التاريخ واللغة.

المطلب الأول: النسق الأسري والبناء المجتمعي

الحقل الأول: النسق الأسري

المدلول السوسيولوجي للأسرة كقيمة يتشكل محوريا في تحديد المكانات والأدوار كمهام استدلالية، فالأسرة عبارة عن وحدة بنائية وظيفية تتكون من شخصين أو أكثر يكسبون مكانات وأدوار اجتماعية،[3] وعليه فالحقل الأسري نموذج مركزي (MODÈLE CENTRAL) في تشكيل البنية (STRUCTURE) المجتمعية، قد يتشكل (FORMATION) قيمياً بمستوى استشرافي وفق:

- القدرة على إشباع حاجات (BESOINS) ومتطلبات الأبناء سواء كانت الضرورية أم الكمالية، حيث أن معظم المشكلات الاجتماعية ترتبط بعجز الأسرة المادي وإمكانية توفير احتياجات أفرادها، وقد أصبح حاليا وجود ارتباط بين المشكلات الاجتماعية للأسرة والضيق والعجز الاقتصادي، حيث يذهب وليام بونجر(P WILLIAM) إلى تأكيد الارتباط الموجود بين المشكلات الاجتماعية والفقر، وعلى هذا الأساس نجد أن الفقر أو الافتقار المادي كعامل وليس كسبب مستقل يلعب دورا خطيرا في حياة الأسرة ويشعر أفرادها

(1) عبد الفتاح محمد: الخدمة الاجتماعية في مجال تنمية المجتمع المحلي، المكتب العلمي للكومبيوتر والنشر، 1996م، ص.125.

(2) توفلر ألفن: حضارة الموجة الثالثة، ترجمة:عصام الشيخ قاسم، دار الجماهيرية للنشر، 1990م، ص.119.

(3) العناني حنان عبد الحميد: الطفل والأسرة، عمان، دار الصفاء للنشر والتوزيع، 2000م، ص.53، 54.

بالحرمان والوقوع في الرذائل والشرور، وأنه إذا أمكن إزالة الفقر والتخلص من البطالة وتوفير المسكن الصحي لكل عائلة يمكن القضاء على المشكلات الاجتماعية والتي على رأسها مشكلة إمكانية تعرض أبنائها للانحراف والوقوع في المحظورات.[1]

- معالجة الأزمات والمشاكل الاجتماعية والنفسية التي قد تمس الأسرة، وتشكيل جسر تواصلي وبناء جسد علائقي مبني على "لغة الحوار، الحب، التعاون، التسامح، الصداقة، الحرية، المشاركة"، في سياق تفعيل الإدراك والاستعمال الواعي للحرية، بما يحقق الالتزام الأخلاقي والارتقاء بالمستوى الثقافي.

- تكوين وتفعيل شبكة علائقية مع مختلف القوى الاجتماعية "التربوية، الدينية، الثقافية، السياسية والاقتصادية"، وحتمية قيمية لأساليب: "المرونة، التوجيه، المتابعة، التعامل والتكيف مع التغيرات والمستحدثات، والمشاركة في المسؤوليات والواجبات.

- تفعيل دور القيم الدينية في استقرار الحياة الأسرية حيث تمثل الرابطة الأساسية والمنهاج الذي يسير عليه الأفراد ويتحكم في تصرفاتهم وسلوكاتهم المختلفة، فكلما كانت الروابط الدينية وثيقة كلما كانت التصرفات وسلوكات الأفراد متزنة ومتماشية مع العرف والقانون والقيم الدينية، أي أن القيم الدينية توفر لأفراد الأسرة التماسك والتكافل من خلال ما تدعو إليه من التزام بالأخلاق والقيم عند التعامل مع الآخرين أو فيما بينهم.[2]

وضمن هذا التصور فالأسرة تساعد الفرد على تنمية الشخصية والارتقاء بثقافته إلى مستوى القيمة من خلال تفعيل الإنجازات والتصورات الواعية للأبناء، وغرس أسلوب ولغة التميز للتعايش وتشكيل العلاقات مع الآخرين، كما تساهم في تفعيل دورها بالارتقاء بميولات الفرد ورغباته وتأصيل الإرث الثقافي رغم قوة مؤثرات التغيير الجانبية داخل الحقل الاجتماعي.

ومنه فنسق الأسرة يشكل مركزية الوعي الاجتماعي(CONSCIENCE SOCIALE) والحضاري، فهو الذي ينقل التراث بين الأجيال وهو مصدر العادات والتقاليد، والعرف وقواعد السلوك والآداب العامة، وهو دعامة الدين والوصية على طقوسه، ويرجع إليه الفضل

(1) محمد القصاص مهدي: علم الاجتماع العائلي، كلية الآداب، جامعة المنصورة، 2008م، ص.30.
(2) المرجع نفسه: 2008م، ص.32.

في القيام بأهم وظيفة اجتماعية وهي عملية التنشئة الاجتماعية (SOCIALISATION)[1].

الحقل الثاني: أهمية الأسرة

تشكل عملية الاتصال الفعال (COMMUNICATION) داخل النسق الأسري تأثيراً قوياً على النواحي الجسمية والنفسية والاجتماعية للطفل، ومن خلال هذه العملية يكتسب الأبناء اللغة والعادات والتقاليد الاجتماعية وأساليب التفاعل الاجتماعي (L'INTERACTION SOCIALE)، وترتقي هذه الاكتسابات إلى مستوى القيمة كل ما كان هناك معيار استدلالي يتمثل في قوة التصورات الواعية، وضمن هذا التصور فالنسق الأسري يعرف الأبناء بالمعايير الاجتماعية التي تفرضها ثقافة المجتمع السائدة ويكسبهم المعايير الاجتماعية الإيجابية، ويزود الأبناء بالقيم الدينية والخلقية، ويكسبهم قوة الشعور بالانتماء.

وباعتبار عملية التفاعل (INTERACTION) مع البيئة الأسرية هي أساس التنشئة الاجتماعية، فدورها رئيسي ومحوري في تحديد شخصية الطفل وتوجيه سلوكه، وتتحكم في هذه العملية نقاط استدلالية تتمثل في درجة ثقافة الوالدين ووعيهم بالأساليب التربوية المحيطة، والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة في المجتمع.[2]

الحقل الثالث: وظائف الأسرة:

من منظور سوسيولوجي وكتصور استشرافي فوظائف الأسرة تتمثل في:

- أنها تقوم بتنشئة الطفل اجتماعياً حيث تجعله مندمج في الحياة الاجتماعية وتكسبه المعايير التي تحافظ على قيمه الاجتماعية.

- الإشباع النفسي والارتباط الانفعالي من أهم ما تقدمه الأسرة لأبنائها، فالأسرة لها آثارها على النمو النفسي السوي وغير السوي للطفل فهي التي تحدد بدرجة كبيرة إذا كان الطفل سينمو نفسياً سليماً أو غير سليم، فالأسرة المستقرة التي تشبع حاجات الطفل الجسمية والنفسية والانفعالية وما تتميز به من تجاوب عاطفي عنصراً هاماً في سعادة الطفل، أما

(1) القصير عبد القادر: الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية "دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسري"، بيروت، النهضة العربية للطباعة والنشر: 1999م، ص.63.

(2) محمد غزال إناس: الإعلانات التلفزيونية وثقافة الطفل، الإسكندرية دار الجامعة الجديدة للنشر والتوزيع، 2001م، ص.87.

الأسرة المضطربة فهي بدون شك تؤدي إلى الانحرافات السلوكية والاضطرابات النفسية.[1]

- توجيه وإرشاد أبناءها الأبناء في حاجة إلى معرفة أن هناك حدوداً معينة وضعت لتبين لهم ما يمكن وما لا يمكن عمله، فالطفل يتعلم من الأسرة ما عليه من واجبات وما له من حقوق وكيف يستجيب لمعاملة غيره، كما يتعلم من الأسرة معايير الثواب والعقاب.

- الإشراف الدائم والمتابعة المستمرة لتعليم أبنائها، فالأسرة تساهم بقدر كبير في تنمية القدرة على التفكير عند أبنائها.

- الوظيفة الدينية والأخلاقية: للدين أهمية بالغة في المجتمع الإنساني ففي العصور القديمة كانت الأسرة وحدة دينية تعتمد في حياتها على الدين، وعن طريقه اكتسبت وحدتها واستقرارها وقداستها، وبتطور البشرية اكتسب الدين صفته الأخلاقية وأصبح الخير الأسمى أوامر من عند الله يلتزم بها الفرد عند تصرفاته، وأصبحت القيم الدينية أسمى من القيم الأسرية وكذلك أصبحت أخلاقية الأسرة تابعة لأخلاقية الدين، فإذا كان الطفل في مراحل نموه الأولى يخضع للمعايير الأخلاقية لأن الأسرة تفرض عليه ذلك فإنه في مرحلة لاحقة يلتزم بالقيم الأخلاقية لأن الدين يتطلب منه ذلك، وهذا المظهر المتطور يمثل تحولاً من مستوى التكيف الاجتماعي للأوامر الدينية.[2]

الحقل الرابع: التغيرات التي طرأت على النظام الأسري:

إن التغيرات التي طرأت على الأسرة أدت إلى تفككها، فقد أحدث التقدم التكنولوجي تغيرات استهدفت الأسرة في جانبيها البنائي والوظيفي، فحجمها في المجتمعات التي تأخذ بأسباب التكنولوجيا والصناعة الحديثة يميل إلى النقصان، وظهرت انعكاسات على مستوى العلاقات الداخلية قللت من سلطة الأب ورفعت من سلطة الأم، وانحصرت وظيفة الأسرة تقريبا في التربية والإنجاب فقط، وهكذا تفككت الأسرة الكبيرة على إثر الانتقال السريع للتكنولوجيا وزيادة معدل التمدن، فازدادت أعباء الوالدين خاصة بالنسبة للأم، فأصبحت المسؤولة الأولى على التنشئة وازدادت الأمور تعقيداً بعد خروجها إلى العمل، فحرم الأبناء من مشاعر الحب والحنان والعطف، وتعددت الأدوار الوالدية، وطرأ تغير ملحوظ على عملية

(1) محمد قاسم ناجي: الصحة النفسية وعلم النفس الاجتماعي والتربية والصحة، مصر، مركز الإسكندرية للكتاب، 1995م، ص.296.

(2) رمضان السيد: إسهامات الخدمة الاجتماعية في مجال الأسرة والسكان، مصر، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بالإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2002م، ص.73، 74.

اتخاذ القرار وعلى نمط الأوامر والنواهي.[1]

الحقل الخامس: الأسرة الحضرية:

الأسرة الحضرية هي التي تتميز بالحجم الصغير على العموم وبأنها أسرة زواجيه تقتصر على الزوج والزوجة والأولاد فقط، كما أن تربية الأبناء ليست مهمة الأسرة وحدها بل هناك مؤسسات وجمعيات تقوم بهذا الدور أيضاً وأن خروج المرأة للعمل أحدث تغييراً في بنية الأسرة، فالأسرة الحضرية هي تلك الأسرة التي تسكن المدينة تأخذ صفاتها منها، ومن خصائصها:

- الأسرة الحضرية تمتاز بمعايير مرنة دائمة التغيير، عكس الأسرة الريفية التي تخضع للضوابط الاجتماعية التقليدية ذات الأثر الانفعالي في توجيه سلوك الأفراد، والتي تنحني نحو التحفّظ والتغير البطيء.[2]
- الأسرة الحضرية تسودها الفردية التي تؤدي بها إلى الخروج تدريجياً من العمومية إلى الخصوصية ومن التقليدية إلى التحررية.[3]
- تتميز الأسرة الجزائرية بتقلص حجمها، من النظام الأسري الممتد إلى النظام الأسري النووي، فبعد أن كانت الأسرة الجزائرية في طابعها العام أسرة ممتدة، أصبحت اليوم تتسم بصغر الحجم.

ومع ذلك تعتبر الأسرة أول جماعة يتفاعل معها المراهق وعلى عاتقها يقع تشكيل شخصية الفرد في مراحل نموه المبكرة، ونظراً لأن سلوك الفرد يتأثر بالبيئة المحيطة به فإن على الأسرة أن تشجع وتخلق الميل لقضاء وقت فراغ بأسلوب إيجابي.[4]

المطلب الثاني: الثقافة داخل البناء المجتمعي:

يعرف "تايلور" الثقافة على أنها الكل المركب الذي يشمل على العادات والأعراف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق وكل المكتسبات التي يكتسبها الفرد من بيئته الاجتماعية، ويعرفها عبد الرحمان عزي "على أنها معايشة الواقع انطلاقا من القيم، ويكون النشاط العقلي للإنسان وسيلة في تحقيق الترابط بين القيمة والسلوك، وهي كل ما يحمله المجتمع وما ينتجه من قيم ورموز معنوية أو مادية، وذلك من خلال تفاعله مع الزمان والمكان

(1) عياد إبراهيم: إرشاد الطفل وتوجيهه في الأسرة ودور الحضانة، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1997م، ص.15.
(2) عبد المنعم نور محمد: الحضارة والتحضّر، مصر، مكتبة القاهرة الحديثة، 1980م، ص.16.
(3) الجوهري محمد: علم الاجتماع الريفي والحضري، مصر، دار الكتب الجامعية، 1975م، ص. 65.
(4) العلي أحمد: الباب والفراغ، الكويت، منشورات ذات السلاسل، 1985م، ص. 35.

انطلاقا من بعض الأسس "القيم" التي تشكل ثوابت الأمة وأصولها.[1]

فالثقافة سلم يمثل مستواه الأعلى القيم في نظر عبد الرحمان عزي، والقيمة هي ما يرتفع بها الفرد إلى المنزلة المعنوية، ويكون مصدر القيم في الأساس الدين، وأن الفرد أداة يمكن أن تتجسد فيها القيم، ويرى أنه كلما ارتقت الثقافة إلى مستوى القيم ارتبط بالضرورة بالدين، ويمكن اعتبار مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية "الأسرة، المدرسة، المسجد" محاور أساسية تساهم في عملية الارتقاء بالنسق القيمي الثقافي داخل السياق الاجتماعي والحفاظ عليه.

الحقل الأول: الثقافة والارتقاء بالنسق القيمي:

إن الحديث عن موضوع الثقافة والارتقاء بنسق القيم في الجزائر، يرتبط بجغرافية المكان، ويتشكل عبر مراحل زمنية متعاقبة، حيث تتأثر ثقافتنا بالتاريخ الاجتماعي وبالأحداث المستمرة والمتنوعة في تشكيل الواقع الثقافي، فهي مجموعة إشكالات معرفية ومنهجية فموضوع الثقافة بالجزائر موضوع تتداخل فيه عوامل اجتماعية وسياسية واقتصادية.

وفي تعريفات مختلفة يتحدد مفهوم للثقافة كعنصر أساسي للارتقاء بنسق القيم، حيث يرى مالينوفسكي: أن الثقافة تشمل الحرف الموروثة والعمليات الفنية والأفكار والعادات والقيم وهي الكل المتكامل وكل ما يتعلق بعملية تنظيم البشر في جماعات دائمة، ويعرفها ألفريد فيبر: أنها من الأشكال الروحية تقوم على العواطف النفسية مثل الدين، وما يتضمنه من قيم ومقاييس وعادات وأفكار، تتسم بالمرونة والنسبية والاختلاف من مجتمع لآخر ومن فترة زمنية إلى أخرى، وفي تعريف آخر لإليوت: أنه يعتبر الثقافة التي تتمثل في الفنون والنظم الاجتماعية والعادات والأعراف والدين.

فالثقافة كائن حي يمتلك بنية خارجية تشكل التفاصيل الخارجية للجسم بينما في الداخل هناك أجهزة هي التي تتحكم في استمرارية الجسم وتطوره ونموه، فكلما كانت الثقافة بنية مورفولوجية شكلية خارجية فلها كذلك بنية مضمونية تعتبر الموجهات الأساسية التي تتحكم في شكل الثقافة وتوجهها، والموجهات الحقيقية لسلوك الأفراد والجماعات والمجتمع ولا تتشكل الأنظمة الاجتماعية المختلفة إلا في ضوئها وانعكاسا لها في الواقع الاجتماعي،

(1) عزي عبد الرحمان: دراسات في نظرية الاتصال "نحو فكر إعلامي مميز، ص. 105.

وتتمثل هذه العناصر البنائية في محتوى الثقافة في الدين واللغة والقيم والعادات والأعراف والتقاليد والتراث.

إن الارتقاء إلى مستوى القيمة له علاقة بالتنشئة الثقافية كمصدر أساسي تتشكل وفق إدراك إيجابي لمؤسسات التنشئة من خلال:

- دور الأسرة في تحقيق التفاعل الاجتماعي وتعليم أفرادها ثقافة مجتمعهم.
- دور المدرسة في تحقيق أسلوب التربية والتعليم والحفاظ على هوية المجتمع القائمة واستمرارها.
- دور الدين باعتباره المصدر الأول للثقافة وتغذيتها بمجموع المبادئ والقيم والأفكار التي تضبط وتنظم السلوك.
- التراث المتراكم لدى الأجيال المتعاقبة، وتضم العادات والتقاليد والقيم والمعايير الأصيلة المنحدرة من الماضي.

وضمن هذه القراءة فمجتمع الاتصال ظهر نتيجة التحولات الكبرى التي أدت إلى تغييرات اجتماعية وثقافية داخل السياق المجتمعي في العديد من المجتمعات خاصةً منها الحضرية، مما أدى إلى تراجع مؤسسات السلطة التقليدية، وإضعاف أجهزة التنشئة، فبروز مضامين القوة التكنولوجية الإعلامية الاتصالية له أثر محوري على بنية المجال الاجتماعي والثقافي.

وهذه المفارقات تولد تطلعات اجتماعية خطيرة، تتطلب درجة وعي السلطات التي تراجعت قدراتها وضعفت سلطاتها المجتمعية الثقافية، ووسائلها التنظيمية أمام وسائل الاتصال الرقمية في التعامل مع هذه الأوضاع، والتي أنشأت مجتمعاً تابعاً اتصالياً، وإن المؤشرات الاجتماعية والثقافية للدارسة تتضمن:

الحقل الثاني: المضمون الثقافي:

للسياق الاجتماعي مضمون ثقافي يتأسس وفق مجموعة من القيم والتمثلات والتصورات والأفكار التي يبتكرها مجتمع ما في تفاعلاته مع الواقع، وانطلاقا من التنشئة الاجتماعية والنسق القيمي والعلاقات الاجتماعية المبنية داخل مجال اجتماعي معين، فهذا المضمون يتعلق بالمجتمع بكامله خلال فترة تاريخية معينة، كما له بنية اجتماعية تتشكل من أنماط العلاقات الاجتماعية التي يمكن ملاحظتها في صورة علاقات اجتماعية محسوسة بين أفراد وجماعات، في شكلها الأسري وحسب المجال البيئي والاجتماعي، وكل مجتمع له

بنيته الخاصة وشبكة علاقاته الاجتماعية التي تحكمه ويسير وفقها.

الحقل الثالث: البنية الاجتماعية

البنية الاجتماعية للتركيب المجتمعي هي كل نسيج متشابك الأجزاء تحوي بداخلها مجموعة من العناصر المتفاعلة بنائياً ووظيفياً تتميز بالاستقرار والاستمرارية، فهي عبارة عن نمط متحرك من العلاقات الاجتماعية المتبادلة تستمر خلال الزمن، وإدراك العلاقات المتبادلة هذه لجميع النظم أمر أساسي لفهم الحياة الاجتماعية، ومن هنا فالتفاعل الاجتماعي يعتبر جوهر العملية الاجتماعية ويشكل العامل المركزي في كل الحياة الإنسانية والاجتماعية، هذا التفاعل يتم عن طريق العمليات العلائقية في إطار البنية الاجتماعية التي يحويها، والتي تتراوح ما بين التنافس والصراع، والتكامل والتعاون، والتوافق والتمثيل، تلك العمليات التي تبدوا دائما متداخلة ومتفاعلة في إطار عملية التفاعل بشكل عام.[1]

وتعد الثقافة هنا عاملاً هاماً في الحياة الاجتماعية، فالمعايير الاجتماعية تلعب دوراً جوهرياً في تنظيم السلوك، فالثقافة لا تمثل مجرد مجموعة واحدة متجانسة من المعتقدات بقدر ما تمثل قيماً متنوعة تتميز بقدر من الشيوع والقبول، والفعل الاجتماعي هنا يلعب دوراً هاماً في تطوير البنية الاجتماعية وحصانتها من خلال عمليات الخلق والإبداع والابتكار، ودور القيادة والدولة في تغيير المجتمع وتعديل النظم الاجتماعية.

ففي المجتمع المتجانس تقوم العلاقات الاجتماعية فيه على أساس دموي قرابي، كما تميل النظم الاجتماعية بواجبها وبوظائفها داخل إطار القرابة، والمجتمعات المتحضرة تضعف فيها حدة السيطرة في الجماعات القرابية على أنشطة السلوك الاجتماعية، إذ نجد المدارس ودور العبادة، والمؤسسات الخدماتية والاجتماعية هي التي تقوم بهذه الوظائف، حيث تقوم بشروط جماعية للأفراد، والمحاكم بإحكامها للعدالة والضبط والتنظيم الاجتماعي، ولهذا فدائما ما نقول أن الحدود التنظيمية المختلفة في المجتمع الحضري متمايزة ومرئية عما هي عليه في المجتمعات المتجانسة.[2]

ونجد المجتمع المحلي عند أموس هاولي (A-HAWLEY) هو: "تلك الرقعة المكانية التي يرتبط بها وفيها السكان، والتي تتم من خلال تكامل الأفراد بعضهم البعض، استجابة

(1) تركي موسى عبد الفتاح: البناء الاجتماعي للأسرة، مصر، المكتب العلمي للنشر والتوزيع، 1998، ص. 20.

(2) عبد الحميد حسين: علم الاجتماع الريفي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2005م، ص. 78.

لمطالبهم اليومية وخصائصهم"، ويشير أيضا إلى جماعة من الناس يصنفون طبقا لمعيار معين، وهو مجموعة من الأفراد تتميز حياتهم بطابع ثقافي مشترك، ويتميز بكل أو بعض الخصائص الآتية:

- بقعة جغرافية محددة وثابتة إلى حد كبير.
- مصالح اجتماعية واقتصادية مشتركة.
- مجموعة من العادات والتقاليد والروابط والقيم والعلاقات الاجتماعية، تنشر بينهم الشعور بالانتماء لمجتمعهم المحلي.
- يتميز بالتفاعل بين أعضائه، ويحدث التفاعل بدرجات متفاوتة بين جماعاته المختلفة.

الحقل الرابع: العلاقات الأسرية

هي دراسة وفهم التفاعلات داخل الأسرة، وتحديد الدور والوظيفة التي يقوم بها كل من الأفراد المتفاعلون داخل التكوين الأسري، فكل فرد منهم اعتباراً من: "الزوج والزوجة" "الوالدين والأبناء" "الأبناء بعضهم ببعض" "الأسرة ككل والمجتمع الخارجي"، ولكل منهم دور خاص ووظيفة خاصة يقوم بها، فالعلاقات الاجتماعية الأسرية بين الجنسين وبين الكبار والصغار، ليست بظاهرة كونية، بل تختلف من مجتمع لآخر، ومن حقبة تاريخية لأخرى، وتخضع طبيعة هذه العلاقات لصيرورة تطور كل مجتمع، فتتبدل وتتغير صيغها وفق التحولات التي تطرأ على هياكله التحتية والفوقية، فالباحث الاجتماعي المهتم بالعلاقات داخل الأسرة، يسعى إلى فهم أنماط التفاعل الواقعة بين مختلف الشخصيات المكونة لها، ويسعى أيضا إلى إبراز أثر التغير الثقافي والاجتماعي على صيغ التواصل والاتصال، والتأثير والتأثر بين الأفراد المتفاعلين، لأن العلاقات الأسرية هي علاقات اجتماعية دينامية، يطرأ عليها التغير[1]، وتتميز العلاقات الاجتماعية التي تربط مختلف الأطراف داخل الأسرة باعتبارها جماعة أولية أساسية بعدة خصائص أهمها:

- أنها علاقات تقوم بين أفراد تربطهم علاقات القرابة الدموية والزواج، فهي علاقات متينة وقوية.
- نظرا للقرب المكاني، فإنها تقوم على الاحتكاك الاجتماعي المباشر، والاتصال العفوي

(1) يوسف علي أميرة منصورة: محاضرات في قضايا السكان والأسرة والطفولة، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 1999م، ص. 81.

بواسطة الحديث المباشر، الإشارات أو تعبيرات أخرى.

- شخصية: أي أنها متحررة من المراسيم والشكليات، ومشحونة بشحنة عاطفية.
- طويلة الأمد: أي أنها ليست عرضية، فهي تلازم الفرد طوال حياته.
- لا تقتصر على أداء نشاط واحد، بل تنطوي على طيف واسع من الأنشطة الاجتماعية والمواقف المشتركة، مما يعني أن الحقوق والواجبات المتبادلة في نطاق هذه العلاقات، تتميز بالكثافة والكثرة وعدم الوضوح أحيانا.
- تخضع لتوجيه القيم والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع، وتعد هذه الأخيرة بمثابة وسائل جاهزة تمنحها الثقافة لإشباع الحاجات البيولوجية والاجتماعية.

الحقل الخامس: التنشئة الاجتماعية

وهي عملية تعلم الفرد أنماط السلوك التي تأهله لأن يكون متكيفاً مع بيئته الاجتماعية، وعضواً مندمجاً في جماعته، وهذا ما يؤكده عالم الأنثروبولوجيا الثقافية هيركوفيتز، حين عرف التنشئة الاجتماعية أنها: "تلك التكيفات التي يجب أن يقوم بها الفرد تجاه زملائه من أفراد جماعته، ابتداء من أسرته لتشمل في النهاية تجمعات من أنواع شتى، وهي التكيفات ذات الأهمية بالنسبة للفرد، إذ تجعله وظيفة كاملة في المجتمع".

ويعرفها عزت حجازي أنها: "العملية التي تستمر مدى الحياة، ويتمثل بها الفرد القيم والمعايير والرموز، ويتعلم ضروب السلوك، التي تشيع في الثقافة فيتحول من كائن بيولوجي إلى إنسان ناضج مؤهل يشغل وضعاً أو أوضاعاً في الجماعة"،[1] حيث تسعى مؤسسات التنشئة الاجتماعية عامة في المجتمع الحديث إلى تحقيق عدة أهداف تربوية واجتماعية أهمها:

- غرس القيم الروحية والخلقية في نفسية الناشئة، فيشبون على حبها والدفاع عنها.
- تطبيع شخصية الفرد اجتماعيا وتدريبه على مجموعة من السلوكات التي يحبذها المجتمع.
- خلق شخصيات تستطيع التكيف والتآلف والتعاون مع أفراد المجتمع الآخرين.
- خلق شخصيات تتمتع بالاستقلال الذاتي، وتستطيع الاعتماد على النفس في مختلف المواقف الحياتية، وتسعى إلى تحقيق النجاح.

الحقل السادس: طبيعة القيم في المجتمع الجزائري:

المجتمع الجزائري في ظل حتمية تكنولوجيات الاتصال الحديثة، يعد مجتمعاً انتقالياً

(1) عزت حجازي: الشباب العربي ومشكلاته، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1985م، ص. 41.

أي أنه يجتاز فترة التحول والانتقال من المجتمع التقليدي والثقافة التقليدية، إلى المجتمع الحديث والثقافة الحديثة، وفي هذه المرحلة قد تتأثر عناصر الثقافة الاجتماعية إلى تصادم وصراع وتوتر بين المحلية والعالمية، التي قد تتبنى قيم الفردانية، ومعايير التبادلية في تكوين الثقافة الحديثة قد تظهر في شكل مؤشرات ذات مدلول التبدل والتغير من حيث الطبيعة المختلفة والصفات الشكلية، والتطابق الجزئي، وهذه التناقضات والتعارضات ذات الطبيعة الثقافية المختلفة قد تشمل كل جوانب الحياة الاجتماعية، وقد تؤدي إلى عدم التوازن في تكوين مفاهيم مستحدثة لدى أغلب الأفراد، وعدم استطاعة الأنظمة والمؤسسات الحديثة القيام بوظائفها بشكل كامل، والاختلاف في تقبل التحديث والفوضى الثقافية والذعر الأخلاقي.

الحقل السابع: الهوية الثقافية

المنظور السوسيولوجي للثقافة يتحدد علائقيا بالماضي والحاضر والمستقبل، وفي هذا يرمي جورج لارتين إلى أن: الثقافة تتسم بتنوع طرق الحياة، وتتخذ هذه الطرق شكل الاستمرارية في وحدة ووعي الذات تماثلاً مع الهويات الذاتية "الفردية والجماعية".فأثناء تشكيل الهوية يشارك معظم الأفراد في الصفات المعينة، أو ولاءات جماعات محلية معينة مثل الجنس أو الطبقة أو الدين أو العرف أو القومية التي تساعد على تحديد الذات وإحساسها بهويتها، ويرى لارتين أن هناك طريقتان لتصور وإدراك الهوية الثقافية:[1]

- الأولى ماهوية طبقة مغلقة تفكر في الهوية الثقافية بوصفها حقيقة واقعية.
- الثانية تاريخية مفتوحة تفكر في الهوية الثقافية بوصفها شيئا ما إنتاجه بشكل متواصل في عمليات دائمة لم تكتمل إطلاقاً، فالهوية الثقافية هي موضوع سيرورة شأن "الوجود" أنها موضوع ينتمي للمستقبل بقدر ما ينتمي للماضي، وليست مفارقة للمكان والزمان والتاريخ والثقافة، فالهويات الثقافية تنبثق من أماكن لها تاريخ.

وتتحدد الهوية الثقافية في مجموعة من المقومات الأساسية المتجسدة في:

- اللغة الوطنية واللهجات المحلية المرتبطة بوجود شعب ما وتطوره ومصيره على أساس أن تكون اللغة الوطنية معتمدة في التدريس على جميع المستويات، وفي التسيير الإداري، وفي

(1) لارتين جورج: الإيديولوجيا والهوية الثقافية "الحداثة وحضور العالم الثالث"، ترجمة: فريال حسن خليفة، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2002م، ص. 261.

القضاء، إضافة إلى التواصل بين شرائح المجتمع إلى جانب اللهجات المحلية.

- القيم الدينية والوطنية المتكونة عبر العصور والتي تكسب الشعب حامل الهوية حصانة تحول دون ذوبانه في شعوب أخرى، وتؤهله لمقاومة كل محاولات التذويب مهما كان مصدرها.

- العادات والتقاليد والأعراف النابعة من تلك القيم والحاملة لها والعاكسة لمستوى الشعب حامل الهوية الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي.

- التاريخ النضالي الذي ينسجه ذلك الشعب حامل الهوية من أجل المحافظة على هويته أرضاً وقيماً، وعادات وتقاليد وأعراف.

الحقل الثامن: الغزو الإعلامي والاغتراب الثقافي:

تعتبر مسألة الغزو الإعلامي بكل أنواعه وتقنياته الذي شكل نجاحاً تأثيرياً في جميع المجالات، من أقوى وسائل الإقناع ومن أولى الوسائل الذي واجه ويواجه المجتمع الجزائري تحديداً، حيث بدأت الدول الغربية العظمى في وضع وتكريس كافة إمكانياتها في توجيه إعلام صنعته لغرض اختراق حصانة وتثقيف مختلف فئات المجتمع.

وإن صورة التعبير عن الاغتراب الثقافي (CULTURE ALIÉNATION) قد يختلف باختلاف التركيبة الثقافية ومن شخص لآخر في إطار الثقافة الواحدة تبعا لاختلاف المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ومن مظاهر الاغتراب الثقافي الصراع بين الماضي والحاضر في الثقافة العربية.

تعاني الثقافة العربية من أزمة قيم تتمثل في خلق مفاهيم ثقافية متنوعة، ويرجع ذلك إلى صراعات قيمية بين قيم الماضي وقيم الحاضر، وبين قيم الثقافة التقليدية وقيم الثقافة المعاصرة، وتعود هذه الأزمة إلى عدم قدرة الثقافة العربية على احتواء القيم الجديدة التي تطرحها الثورات العلمية التكنولوجية المتقدمة في كافة المستويات مما يؤثر سلبا على البنية المجتمعية.

الحقل التاسع: إدمان الإنترنت

إدمان الإنترنت من المؤشرات الخطيرة على الرصيد المجتمعي، وكمقاربة لهذا المرض كظاهرة نجد: الباحثة الأمريكية في علم النفس كمبرلي يونغ (KIMBERLY YOUNG) والتي تعد من أولى أطباء النفس في دراسة هذه الظاهرة 1994، وتعرف إدمان الإنترنت بأنه

الاستخدام لأكثر من 38 ساعة أسبوعيا، كما أنها قامت عام 1999 بتأسيس وإدارة:[1]

- مركز الإدمان على الإنترنت (CENTR FOR ONLINE ADDICTION) لبحث وعلاج ظاهرة إدمان الإنترنت، وقد أصدرت كتابين حول هذه الظاهرة هما:
- الوقوع في قبضة الإنترنت (CAGHT IN THE NET).
- التورط في الشبكة (TANGLED IN THE WEB).

وقد جاءت في نتائج دراستها أن مستخدمي الإنترنت إنما من أجل الاتصال مع الآخرين والدردشة معهم عبر الإنترنت، وتتمثل أقسام إدمان الإنترنت حسب (KIMBERLY YOUNG).

1. إدمان الفضاء الجنسي (CYBERSEXUAL ADDICTION): أي مواقع الجنس الإباحية.
2. إدمان العلاقات السيبرية (CYBER RELATIONSHIP ADDICTION): وتتم عبر الفضاء المعلوماتي مثل علاقات قاعات الدردشة.
3. إلزام الإنترنت (NET COMPULSION): تخطي السيطرة البشرية.
4. الإفراط المعلوماتي (INFORMAYION OVERLOAD): مثل البحث عن المعلومات الزائدة عن الحد عبر الإنترنت، والاهتمام بأفكار خارج منظومة القيم.
5. إدمان ألعاب الكومبيوتر الزائد عن الحد (COMPUTER ADDICTION).

وتمثلت اقتراحات (KIMBERLY YOUNG) فيما يخص علاج ظاهرة إدمان الإنترنت من خلال:

1. ممارسة العكس: ويتطلب تحديد نمط استخدام الفرد للإنترنت، ومحاولة كسر الروتين عن طريق تقديم أنشطة محايدة ومعتدلة.
2. وضع أهداف مسبقة: وضع مخطط مسبق على المدى البعيد يولد سلوك لدى لفرد بقدرته على التحكم في عملية استخدام الإنترنت.
3. بطاقات التذكرة: كتابة الآثار السلبية للاستخدام المفرط على بطاقات كمشاكل في العمل.
4. استخدام ساعات التوقف: إذ تساعد هذه المنبهات في تذكير الفرد بموعد انتهاء وقت استخدام الإنترنت.

(1) kimbery S. Young "2007:Treatment Outcomes With Internet Addicts". Published in Cyber Psychology and Behavior. Vol 10. No 5. 2007. PP. 671-679.

5. عمل قائمة شخصية: عادة ما يهمل مدمني الإنترنت جوانب كثيرة من حياتهم نظراً لقضاء أوقات طويلة على الإنترنت، فوضع قائمة بهذه الأنشطة والاهتمامات المهملة يساعد على إحيائها.

ومن الآثار السلبية المترتبة لإدمان الإنترنت هو فقدان الهوية الشخصية أو الثقافية وظهور العديد من السلوكيات غير المقبولة مثل الانسحاب والبعد عن التعامل مع الجماعة، وعدم المشاركة في المسؤولية الجماعية والتمركز حول الذات، والانغلاق في دائرة الأهداف والمصالح الشخصية دون المصالح العامة، ورفض القوانين والمعايير الاجتماعية والثقافية.

كذلك أزمة الهوية ارتبطت بالقلق والصراع وانعدام الهدف وعدم القدرة على التخطيط لأهداف مستقبلية، والافتقار إلى العلاقات الاجتماعية وعدم القدرة على اختيار المستقبل المهني واللامبالاة واللامعنى، فالفرد لا يستطيع تحقيق هويته إلا في وسط اجتماعي يتحقق فيه التفاعل بين الذات والذات الاجتماعية، وأنه لا يدرك هويته إلا من خلال المسؤولية كقيمة أخلاقية، لذا لابد على كل مجتمع التمسك بهويته الثقافية من خلال حبه والتزامه للغته وعقيدته وقيمه لكي تتمكن هذه الهوية من البقاء والاستمرار وتقاوم كل غزو ثقافي أو حضاري يحاول الاستقطاب أو فرض التبعية الثقافية.

كما أن قيمة الشرف الثقافي والالتزام الأخلاقي والتميز بالدين الإسلامي كمصدر للقيم، يجب مراعاتها عن طريق التوعية والاتصال الشخصي كواجب قيمي والالتزام بها، وممارسة استخدام الإنترنت المعتدل والأمثل ووضع ضوابط وحدود لاستخدامه، مع ضرورة وجود التوعية والرقابة الأسرية ومتابعة وتوجيه الآباء للأبناء، وتفعيل لغة الحوار وتنمية مهارات التفكير والمشاركة.

خاتمة:

إن النظرة المتعمقة في مجال الاستخدام قد يلاحظ أن هذه المؤشرات وبقوة في أوساط مستخدمي الإنترنت، إذ يلاحظ دلالة إدمان الإنترنت على المستوى النفسي والاجتماعي وحتى الجسدي، فعلى المستوى الاجتماعي: "غياب لغة الحوار وثقافة الاتصال الداخلي بين أفراد الأسرة، تمرد على الضوابط الاجتماعية باسم التحرر، التفكك الأسري، التفرد والعزلة الاجتماعية، الصراع الثقافي، غياب المسؤولية الأسرية خاصة في ما يتعلق بمراقبة وتوجيه الأبناء، الانفصال عن الذات والذات الاجتماعية، التوتر والارتباط بالآخر المجهول، تراجع

عملية التحصيل المعرفي كقيمة تربوية تعليمية، تراجع قيمة الاهتمام بالقيم الدينية الإسلامية"، وقد ترجع إشكالية إدمان الإنترنت إلى مستوى وعي وإدراك المستخدم في الاعتراف كقيمة لأخطار واختراقات أهداف الشبكة، وغياب أسلوب التوعية من خلال الانهمام بالذات وتشكيل خلية توعية بطبيعة إدمان الإنترنت من خلال عملية التفعيل الاجتماعي.

المراجع:

المراجع العربية:

1. عابد الجابري محمد: إشكاليات الفكر العربي المعاصر، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2005م.
2. سليم الغزوي فهمي: المدخل إلى علم الاجتماع، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2004م.
3. عبد المنعم نور محمد: الحضارة والتحضّر، مصر، مكتبة القاهرة الحديثة، 1980م.
4. عبد الفتاح محمد: الخدمة الاجتماعية في مجال تنمية المجتمع المحلي، المكتب العلمي للكومبيوتر والنشر، 1996م.
5. توفلر ألفن: حضارة الموجة الثالثة، ترجمة:عصام الشيخ قاسم، دار الجماهيرية للنشر، 1990م.
6. العناني حنان عبد الحميد: الطفل والأسرة، عمان، دار الصفاء للنشر والتوزيع، 2000م.
7. محمد القصاص مهدي: علم الاجتماع العائلي، كلية الآداب، جامعة المنصورة، 2008م.
8. القصير عبد القادر: الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية "دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسري"، بيروت، النهضة العربية للطباعة والنشر: 1999م.
9. محمد غزال إناس: الإعلانات التلفزيونية وثقافة الطفل، الإسكندرية دار الجامعة الجديدة للنشر والتوزيع، 2001م.
10. محمد قاسم ناجي: الصحة النفسية وعلم النفس الاجتماعي والتربية والصحة، مصر، مركز الإسكندرية للكتاب، 1995م.
11. رمضان السيد: إسهامات الخدمة الاجتماعية في مجال الأسرة والسكان، مصر، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بالإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2002م.

12. عياد إبراهيم: إرشاد الطفل وتوجيهه في الأسرة ودور الحضانة، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1997م.
13. عبد المنعم نور محمد: الحضارة والتحضّر، مصر، مكتبة القاهرة الحديثة، 1980م.
14. الجوهري محمد: علم الاجتماع الريفي والحضري، مصر، دار الكتب الجامعية، 1975م.
15. العلي أحمد: الباب والفراغ، الكويت، منشورات ذات السلاسل، 1985م.
16. عزي عبد الرحمان: دراسات في نظرية الاتصال "نحو فكر إعلامي مميز.
17. تركي موسى عبد الفتاح: البناء الاجتماعي للأسرة، مصر، المكتب العلمي للنشر والتوزيع، 1998م.
18. عبد الحميد حسين: علم الاجتماع الريفي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2005م.
19. يوسف علي أميرة منصورة: محاضرات في قضايا السكان والأسرة والطفولة، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 1999م.
20. عزت حجازي: الشباب العربي ومشكلاته، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1985م.
21. لارتين جورج: الإيديولوجيا والهوية الثقافية "الحداثة وحضور العالم الثالث"، ترجمة: فريال حسن خليفة، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2002م.

المراجع الأجنبية:

22. Guy Rocher, Introduction à la sociologie générale. I:L'action sociale, Paris: Editions Points, 1995.
23. kimbery S. Young ″2007:Treatment Outcomes With Internet Addicts ″. Published in Cyber Psychology and Behavior. Vol 10. No 5. 2007.